

بين الاقليمية والوحدة



تردد على السنة الناس في الايام الاخيرة اسم جزيرة في المحيط
الباسفيكي اختارها الخبراء الامير كيون مشهداً لتجارب القنبلة
الذرية . وما تلك الجزيرة المشؤومة سوى واحدة من آلاف الجزر
المنشورة في عرض ذلك المحيط . وقد كانت جميعها متصلة بعضها
ببعض ، الى ان رمتها يد الزمان بحوادث جيولوجية من زلازل
وبراكين ، فانفصلت وتفرقت ، وتنوعت فيها الاجناس . ونرى
هذه الظاهرة نفسها في آسيا واميركا الشمالية . فقد كانتا متصلتين
حيث يفصلهما اليوم بوغاز بيرين . وبانفصالهما تفرقت شعوبهما المتماثلة
وتباعدت كما تشهد بذلك الشعوب المغولية في الصين وسيبيريا
والشعوب الهندية الحمراء في الاميركتين .

ولا تنحصر هذه الظواهر المفرقة في الجغرافيا والجنس ، بل
تتعداهما الى اللغات والثقافات والقوميات عندما تطفئ عليها
عوامل التفرقة . ففي القرن السادس عشر مثلاً تزح بعض الفرنسيين
الى العالم الجديد واستوطنوا القسم الشمالي منه ، حيث انقطعوا
عن الوطن . وكان من جراء ذلك ان ابتعدت هجنتهم عن اللهجة
الام ، واصبحت على مر الايام لغة أخرى . وتباينت تقاليدهم

وانفصلوا عن مجرى تاريخ آبائهم واجدادهم ، فاستحالوا بالتدريج الى قومية أخرى .

وفي القرن السابع عشر ركب بعض افولنديين البحر الى رأس الرجاء الصالح واستوطنوا القسم الجنوبي من افريقية ، حيث انقطعوا عن الوطن . وكان من جراء ذلك ان ابتعدت لهجتهم عن اللهجة الام ، واصبحت على ممر الايام لغة أخرى . وتباينت تقاليدهم وانفصلوا عن مجرى تاريخ آبائهم واجدادهم ، فاستحالوا بالتدريج الى قومية أخرى .

وقد طفت على المغرب الاقصى عوامل طبيعية وغير طبيعية ، فصلت بينه وبين الشرق ، فابتعدت لهجاته عن العربية ، واختلفت تقاليد اهله عن العرب نوعاً ، حتى كاد اليوم يصبح هجيناً في عروبه ، اعجبياً في لغاته ، خلاساً في قومينه .

فتاريخ الشعوب سجال بين عوامل التفرقة وعوامل الجمع والتوحيد . ومن هذه العوامل ما هو طبيعي ، ومنها ما هو مصطنع . وقد كان نصيب العرب من هذه العوامل حتى الامس سجالات بين عوامل التفرقة وعوامل الجمع والتوحيد ، الى ان طفت عليهم عوامل التفريق . وهم اليوم على مفترق الطريق يمرجون بين التفتت والتكتل ، بين الاقليمية والوحدة . اقول هذا مع علمي ببلودات وانشاص ، وما سبقهما من اجتماعات وولائم ، وبيانات تمخضت عن نص يدعى ميثاق الجامعة العربية . فان سلك العرب طريق الاقليمية انتهوا الى بلقان عربي ، تتناحر دويلاته وتتقاتل ، حتى تفني بعضها بعضاً ، او تقع فريسة لدب جائع ، أو أسد مفترس . واذا سلكوا

طريق الوحدة ، انتهوا الى ولايات عربية متعددة ، تضم خمسين مليوناً من العرب ، في سبع ولايات على الاقل ، متضامنين على الخير ، محتومين من الغير ، آفاقهم غير محدودة ، ايامهم غير معدودة .
ولسوء الحظ وحسنه ، ان عوامل التفرقة التي تعبت بالعروبة اليوم ليست طبيعية بل مصطنعة من صنع الاجانب وبعض المرتقة .
فقد نعم الهلال الحبيب منذ الفتح العربي باكثر عوامل الجمع والتوحيد ، ان لم اقل كلها . وقامت دعائم الوحدة العربية الصالحة على اللغة الواحدة الموحدة والتاريخ الواحد المشترك . وسار الهلال تحت لواء العروبة يوماً له ويوماً عليه . وفي ايام سعده باهى بعروبه واضاء بنبراسها طريق الغير ، وفي ايام محنته لم يتبرأ منها ، بل وجد في ماتنها عزاء ، وفي ترائها حياً والهاماً . وقد حاولت الشعوبية مراراً ان تخرج عروبه وتمزق شملها وتمسخها الى جزر اقليمية او عنصرية مبعثرة ، فلم تنجح ، لان العروبة عقيدة منزهة عن الانتهازية ، تلازم العربي في سرائه وضرائه .

وكأني بشعبان الشعوبية قد رفع رأسه مرة اخرى في يومنا هذا ، وهم ان يثب لينشب انيابه السامة في صميم العروبة ، تستهويه وتستفزه الى ذلك جمهرة من الحواة الاجانب والمرتقة ، فينفخون بمزمار الاقليمية طوراً ، وبمزمار الطائفية طوراً آخر . ويطلبون بالفينيقية مرة وبحضارة البحر المتوسط مرة اخرى ، ويضربون على دف العامية حيناً ، وعلى دربك الزجل حيناً آخر ، لا غاية لهم إلا التفريق بين لبنان واخوته واخوانه في العروبة ، وعزله عنهم ، حتى يعود باكياً الى احضان هاجر . واني للجارية ان تكون امماً حنوناً ؟

غير ان « سيمفونية » السم هذه ستلاشي وتزول ، وستبقى
العروبة عقيدتنا الفعالة من خليج فارس الى وادي النيل .
وما هذا التفاؤل الذي يملأ حنايا قلبي بعد ان كاد اليأس يقضي
عليها الا من وحي الشبيبة التي اراها اليوم مجتمعة هنا من انحاء
الهلال الحبيب .

ان كشافة البلاد العربية خير ما تجسدت فيه عوامل الجمع
والتوحيد . وهذه العوامل بحمد الله وكرمه ، طبيعية غير مصطنعة ،
اصيلة غير هجينة .

انتم خير صلة بين اجزاء هذا الوطن . انتم ، بما تتعودونه في
حياتكم الكشفية من الاعتماد على النفس والبذل والعمل ، ستبقون
كيان العروبة وحدة فعالة حية .

انتم ستقفون سداً مانعاً دون تفتت البلاد الى اقاليم ودويلات
وستحولون دون زلازل التفرقة وبراكين الانقسام .

انتم لا تكتفون بالاقليمية ولا ترضون بها .
انتم لا تقنعون بالوضع الحاضر المتجه الى التباعد والانعزال .
وانا مثلكم لا اقنع ولن اقنع باستقلال الاقطار العربية فحسب ،
بل انتظر استقلالها ضمن وحدة شاملة فعالة ، هي الولايات المتحدة
العربية . ولا تقوم لشعب وحدة الا بالمواصلات المادية بين افرادة
والمواصلات الفكرية والروحية التي تربطهم .

— وفي هذا التحيم تجتمع جميع هذه المواصلات ومنه تمتد لتربط
اطراف البلاد العربية وقلوب ابناءها .

انتم على موعد مع المستقبل ، فعلى عاتقكم قد القيت تبعه مصير

البلاد العربية وتحقيق اهدافها في وسط هذا التنازع بين عوامل
النفرة وعوامل الجمع والتوحيد . فاذا سادت - لا سمح الله -
الاولى ، اضعفت البلاد العربية من حيث التفتت والضعف ، مثل
جزر المحيط الباسيفيكي التي تتوسطها بيكيني .

اما اذا سادت عوامل الجمع والتوحيد - وهي لا محالة سائدة -
تجتمع الكلمة وتقوم بين قرني الهلال الحبيب وحدة حبة فعالة ،
هي الولايات المتحدة العربية ، تساهم في التاريخ ثانية مساهمة حرة ،
وتعمل مرة اخرى على خلق جزء من حضارة العالم .